# ١٩ – شهادةُ سجينٍ

شهدتُ بأنَّ الزمانَ الذي جئتُ فيهِ

زمانُ الذئابِ

وأنَّ الليالي التي عشتُ فيها

ليالي الضبابِ

وأنَّ الديارَ التي قد حوتني

ديارُ العذابِ

وأنَّ الدماءَ التي تسكنُ القلبَ قدْ شَوهُوها

وقد زَيفُوها

فصارتْ دمائي قرينَ الترابِ

شهدتُ

بأنَّ الدموعَ التي في المآقي

تُعيدُ بقلبي سنينَ الضياعِ

وتقتلُ في العمرِ ضوءَ الشعاعِ

وأنَّ دقائقَ عمري

تسافرُ في الصمتِ دونَ وداعِ

وأنَّ الطهارةَ ماتتْ

وأنَّ البراءةَ ماتتْ

وأنَّ جميعَ القلوبِ تبيعُ الخداعَ

شهدتُ بأنَّ المزادَ الذي نحنُ فيهِ

مزادٌ رخيصٌ

وأنَّ دموعي تساوي

ابتساماتِ كلِّ مراوغٍ

وكلَّ ضميرٍ خسيسٍ

وأنَّ جميعَ المشاعرِ

بيعتْ بكلِّ سويقاتِ هذا الزمانِ

كمثلِ الفطائرِ مثلِ السجائرِ

تساوتْ جميعُ الرياحِ

رياحُ الشتاءِ

رياحُ الربيعِ

شهدتُ بأنَّ المبادئَ قد ضَيْعوها

وأنَّ الضمائرَ قد غيَّروها

تساوى مع الزيفِ هذا الشريفُ

وثوبُ الدناسةِ يبدو قريباً لثوبِ العفيفِ

شهدتُ بأنِّي أسيرُ

وأنَّ الكبيرَ يبيعُ جِهارًا دماءَ الصغيرْ

وأنَّ الذي كانَ في الناسِ نَجمًا

أراهُ حقيرَ

وأنِّي أسيرُ بدربِ السعادةِ مثلَ الضريرِ

وأنَّ الغنيَّ يدوسُ معَ الصُّبحِ قلبَ الفقيرِ

ورغماً أحاولُ إيقاعَ ذاتي

بكلِّ الخرائطِ

لأبقى كضوءِ الصباحِ الجميلِ

بكلِّ الحوائطِ

فلا أستطيعُ

أراني غريبًا بكلِّ مواطنِ هذا الجمالِ

شهدتُ

وقد ماتَ صوتي

وهمْسِي وحِسي

وأنَّا نعيشُ وأنَّا نموتُ كمثلِ الكلابِ

وقدْ صارَ سعرُ السعادةِ بعضَ الترابِ

فمهما تسافرُ في الأرضِ بحثًا

فأنتَ قرينُ اللظى والسرابِ

شهدتُ بأنِّي جريحٌ

وأنِّي ذبيحٌ

وأنَّ الطريقَ الذي سرتُ فيهِ

طريقٌ كسيحُ

وأنَّ قصورَ السعادةِ مثلُ الضريحِ

وأنَّ جميعَ الأماني تصيرُ بعينيَّ أشباحَ ريحٍ

شهدتُ بأنِّي سجينٌ بأعماق ذاتي

وأنَّ حياتي تُساوي مماتي

وأنَّ الذي قد حلمتُه يومًا

حلمٌ بسيطٌ مِنْ أُمنياتي

حلمتُ بأنْ أحملَ الحبَّ تاجًا

وأنْ أرقبَ الحبَّ نجمًا

وأنْ تتحولَ كلُّ السنينِ البوارِ ربيعًا

وأنْ تتحولَ كلُّ الضمائرِ طفلًا وديعًا

حلمتُ بأنْ يُصبحَ الكونُ مثلي بريئًا

فعشتُ سجينًا